أحمد الدَبَشْ*

# كيف تمت عَبْرَنَة الخارطة الفلسطينية؟!

ترصد هذه الدراسة مجموعة المشاريع التي وضعتها الحركة الصهيونية الاستيطانية، منذ بداية الانتداب البريطاني على فلسطين ١٩٢٠ لإعادة تسمية الأماكن والمواقع التاريخية الفلسطينية بأسماء عبرية، حيث تشكل التسمية جزءًا لا يتجزّأ من الصراع السياسي في فلسطين وعليها. فكانت عبرنة الأسماء العربية، جزءًا من عملية الاحتلال التي قامت بها العصابات الصهيونية في العام ١٩٤٨ .

## (١)

مع نهاية الحكم العثماني في فلسطين عام ١٩١٨ ، واحتلال فلسطين من قبل القوات البريطانية، وبداية الانتداب عام ١٩٢٠ ، جرت تغييرات بعيدة المدى في جميع مناحي الحياة، ومن ضمنها المشهد اللغوي، حيث عزّز الانتداب البريطاني في فلسطين مكانة اللغة العبرية التي ترسخت آنذاك كلغة، تم إحياؤها للمجتمع اليهودي، وتحولت إلى لغة رسمية إلى جانب اللغتين العربية والإنكليزية.

في سنة ١٩٢٠ ،عينت حكومة الانتداب لجنة من ثلاثة أعضاء هم: دافيد يلين (رئيساً)، وإسحق بن – تسفي، وأبراهام برور، من أجل تقديم النصيحة بشأن نقحرة [كتابة الكلمة بأحرف أجنبية] أسماء الأماكن العبرية إلى اللغة الإنكليزية، وتسليمها إلى المندوب السامي الذي يقوم بنقل الأسماء المقترحة إلى الجمعية الجغرافية الملكية، الجهة الرسمية الوحيدة في لندن المخولة إعطاء الأسماء وتوثيقها في أنحاء الإمبراطورية البريطانية.

تشير مصادر عديدة إلى أن أكثر التسميات إثارة للسجال في حينه كانت القدس وفلسطين، فقد رغبت

* كاتِب وباحِث فلسطيني

اللجنة في إطلاق اسم "يروشَلايم" على القدس، و"إيرتس يسرائيل" على فلسطين، لكن حكومة الانتداب لم تقبل هذه التسميات خشية إثارة العرب، إلاّ أن وساطة المندوب السامي هربرت صامويل أثمرت الاتفاق على إضافة اسم "إيرتس يسرائيل" بين قوسين وبصورة مختصرة مكونة من الحرفين (إ.ي.) إلى جانب فلسطين بالعبرية والإنكليزية. وكانت تلك اللجنة مستاءة على الدوام من الجمعية الجغرافية الملكية التي لا تمنحها صلاحية التوسُّع في منح الأسماء للأماكن خارج التجمعات اليهودية. [١]

في الحقبة الانتدابية، استعملت المنظمات الصهيونية في فلسطين أساليب متنوّعة من الحيل، غرضها الخلط بين "فلسطين" و"إيرتس يسرائيل". وإحدى هذه الحيل والخُدَع، إقحام الاختصار العبري لعبارة إيريتس يسرائيل ؛ أي "أرض إسرائيل"، بعد كلمة فلسطين بالعبرية على طوابع حكومة الانتداب الرسميّة ـــ وهي طوابع تداولها ألوف العرب في فلسطين والبلاد المجاورة، ومعظمهم لا يعرفون العبريّة، ولا يستطيعون فك شيفرة هذا الاختصار العبري الصهيوني. على الرغم من أن القادة الفلسطينيين اعترضوا عام ١٩٢٠ على هذا الإدراج لعبارة "إيريتس يسرائيل" على وثائق رسميّة، هي طوابع وعملة حكومة فلسطين الانتدابيّة البريطانيّة ـــ الحكومة التي كانت ملتزمة "الوعد" الداعم للصهيونيّة في العام ١٩١٧، وفق إعلان بلفور ـــ غير أنهم عجزوا عن ثني سلطات الانتداب عن متابعة سياستها المؤيّدة للصهيونية.[٢]

تأسست لجنة التسميات، بحسب المؤرخ إيلان بابه، "في سنة ١٩٢٠، وعملت بصفتها مجموعة مؤقتة من العلماء على إطلاق أسماء عبرية على الأراضي والأماكن التي كان اليهود يشترونها". [٣] أما د. شكري عراف، فيقول: "في سنة ١٩٢٢ ألفت الوكالة اليهودية لجنة أسماء تساعد المهاجرين على اختيار أسماء المستعمرات التي يؤسسونها و/ أو تؤسس لهم". [٤] وحسب المؤرخ والأكاديمي نور مصالحة، "كانت مشاريع التسمية الجغرافية للييشوف الذي تأسس عام ١٩٢٠، ضروريّة لبناء الهويّة الجماعيّة الصهيّونية، وبالتالي الهوية الإسرائيلية، تأسيسًا على (الذاكرة التوراتية)، من أجل (إحياء) العبريّة التوراتية، أو تشكيل أسماء رمزيّة جديدة ذات رنّة توراتيّة، تعني الاسترداد الصهيوني للأرض واستعمار فلسطين". [٥]

فقد بدأت الحركة الصهيونية " بإنتاج خرائط توثق أسماء المواقع التي أنتجتها، وصاغت عملية مُمَنهجة ومنظمة في وضع أسماء المواقع الجغرافية الرئيسة وتلك التي أقيمت من قبلها. كانت بداية ذلك عام ١٩٢٢ عندما أقيمت لجنة الأسماء من قبل "مؤسسة الكيرن كييمت ليسرائيل"، بمساعدة الانتداب البريطاني، وبدأت هذه تعمل بشكل منظم عام ١٩٢٥ في وضع أسماء للمستعمرات الصهيونية".[٦]

"عبرت أسماء المستوطنات اليهودية التي وجدت في إطار الأنشطة الاستيطانية الصهيونية عن حالات رمزية لصدى مادي من خلال تجسيدها لخطاب تجديد (قومي) متجدد، وقد كانت أسماء المستوطنات اليهودية التي تأسست حديثًا إما استعادة لتسميات كتابية وتلمودية أو أداة احتفاء برموز وزعماء صهاينة وقادة سياسيين، وذلك من خلال لجنة خاصة أنشئت في تموز ١٩٢٥ كانت مهمتها التنظيم المركزي لهذه التسميات. وفي كلتا الحالتين، أدرجت الأسماء الجديدة في عملية الإحياء القومي والتجديد إلى الخارطة وتم دمج التاريخ اليهودي والذاكرة الصهيونية مع جغرافية الإحياء الصهيوني . وقد حددت اللجنة، خلال ٢٦ سنة من عملها،٤١٥ اسمًا لمستوطنات تأسست حديثاً، منها ٢١٥ اسمًا تعود إلى عصر ما قبل الدولة من بينها ١٠٨ "أسماء تاريخية"، بمعنى أسماء قديمة تمت استعادتها، و١٢٠ اسماً "ذا صفة احتفائية تذكارية"، و١٨٧ اسماً "ذا طابع رمزي"".[٧]

حاولت الحركة الصهيونية عبر اعتماد الأسماء العبرية، الربط بين الحركة الصهيونية، ومجتمعها الاستيطاني، والتاريخ القديم المُتخيل لـ"عبري/ إسرائيلي/ يهودي" في فلسطين.

هكذا تم استهداف الذاكرة الفلسطينية العربية التي تجسدها ماديًا أسماء المواقع الجغرافية وأبادتها من خلال إحلال مفردات مستعارة من تراث الأسطورة "الكتابية" محل الأسماء العربية.

بدأ هذا المسعى، بشكل رسمي، عام ١٩٣١ حين أصدرت حكومة الانتداب البريطانية قوائم رسمية بأسماء المواقع الجغرافية في فلسطين بهدف توحيد كتابة هذه الأسماء بصيغ يُتعارف عليها وذلك لأغراض عملية. وقد راعت القوائم في الصياغة أن تكون الأسماء كما هي في الواقع من دون أي

**حاولت الحركة الصهيونية عبر اعتماد الأسماء العبرية، الربط بين الحركة الصهيونية، ومجتمعها الاستيطاني، والتاريخ القديم المُتخيل لـ"عبري/ إسرائيلي/ يهودي" في فلسطين.**

**هكذا تم استهداف الذاكرة الفلسطينية العربية التي تجسدها ماديًا أسماء المواقع الجغرافية وأبادتها من خلال إحلال مفردات مستعارة من تراث الأسطورة "الكتابية" محل الأسماء العربية.**

مضمون "عقائدي" أو إيحاء تاريخي. أثارت القوائم المعلنة احتجاج الحركة الصهيونية في فلسطين، وسعت إلى إلغائها أو تعديلها جذرياً بما يتناسب مع التوجه الصهيوني نحو "عبرنة" أسماء المواقع وإضفاء صفة أيديولوجية عليها. وتبلور هذا الاحتجاج في إعداد قوائم بديلة عملت عليها لجنة مكونة مما يسمى "المجلس القومي" (Va›ad Leumi) و"الجمعية اليهودية لاستكشاف فلسطين" (Jewish Palestine Exploration Society ) وعدد من أساتذة الجامعة العبرية في القدس. وقد قدم إسحق بن تسفي (Itzhak Ben-Zvi)، بصفته رئيس اللجنة التنفيذية لـ"المجلس القومي"، هذه القوائم إلى سلطات الانتداب البريطاني مرفقة بمذكرة تفصيلية بيّن فيها أن التعديل الذي جرى على الأسماء الواردة في القوائم الحكومية في اتجاه عبرنتها حصل بعد الرجوع إلى الوثائق التاريخية التي شملت التلمود والمشناه، وأن هذا التعديل له "تبعاته المهمة لا لزمننا الحالي فحسب بل للأجيال المقبلة. ذلك أنّ الأسماء العبرية للأماكن لم تمت قط، فهي لا تزال حية ولا تزال تدور في أفواه معظم سكان فلسطين الذين يحتاجون إلى اللغة العبرية. كذلك فإن الملايين من اليهود في العالم يعترفون بهذه الأسماء من خلال الكتابات المقدسة والأدب العبري القديم الذي يدرس بكد واجتهاد في كل مجتمع يهودي في الشتات". وطالب بن تسفي في مذكرته بأن يحافظ على "الصيغ الأصلية للأسماء التاريخية" من دون تشويه أو تحريف. لم تنجح الحركة الصهيونية في فلسطين في فرض قوائمها المُعَبْرَنة على سلطات الانتداب. [٨]

## (٢)

في أربعينيات القرن العشرين وضع الانتداب البريطاني خرائط بمقياس رسم ١: ١٠٠,٠٠٠، بغرض المسح الشامل لفلسطين، وكانت أسماء المعالم الجغرافية لفلسطين تحت الانتداب البريطاني تُكتب على الخريطة بأسمائها العربية ولكن بحروف إنجليزية، فبلغت جملة الأسماء العربية ٣٧٠٠ مَعلَم، إضافة إلى ١٧٤ اسماً بالعبرية كما وردت في الكتاب المقدس، على سبيل المثال القدس والخليل، تكتبان هكذا (Al-Quds and Al-Halil)، بينما تكتبان في الإصدارات العبرية هكذا: (Yerushalaim and Hevron). [٩]

غداة قيام الكيان الصهيوني، تم تصور إنشاء خارطة عبرية شاملة، يشير كل من ماعوز (Maoz Azaryahu) وأرنون (Arnon Golan)، إلى رسالة أرسلت في كانون الأول ١٩٤٨، إلى وزير الداخلية [الصهيوني آنذاك] تنص على أنه: "يتوجب استعاضة الأسماء التقليدية بأخرى جديدة... يتوجب علينا أن نبدأ في عبرنة جوهرية لخارطة بلدنا نظرًا لانغماسنا في استشراف تجديد أيامنا كمثل تلك الأيام القديمة وفي أن نعيش حياتنا شعبًا سليمًا تمتد جذوره عميقًا في تراب بلدنا".[١٠]

منحت المقاربة الصارمة للغة الخارطة القومية تفويضًا رسميًا عندما قام بن غوريون في تموز ١٩٤٩، باقتراح تشكيل لجنة توكل لها مهمة محددة جغرافيًا في منطقة النقب فقط؛ أي النصف الجنوبي من "إسرائيل" من أجل "تحديد أسماء عبرية للأماكن كافة، الجبال والوديان والينابيع، والطرق وما شابه ذلك في منطقة النقب" . [١١]

المحو يبدأ من اللغة: إلياكيم على أنقاض أم الزينات المُقتلعة (١٩٥٠).

كتب بن غوريون في يومياته، بتاريخ ١١ حزيران ١٩٤٩، عندما زار النقب "من ايلات [العقبة] عبر فضاءات وادي عربة....من عين حصب... إلى عين وهبه.... علينا أن نعطى أسماء عبرية لهذه الأماكن، أسماء تاريخية، وإن لم توجد فلتكن أسماء جديدة"[١٢] وفي أيلول ١٩٤٩، تم اقتراح توسيع عمل لجنة النقب لتشمل سائر البلد وأن يدرج ضمن مهامها تحديد أسماء المستوطنات. [١٣]

في هذا السياق، يفيد ميرون بنفنستي، "في تموز١٩٤٩، اجتمعت مجموعة من تسعة علماء، كل منهم معروف في مجال تخصصه، علم رسم الخرائط والآثار والجغرافيا والتاريخ، في مكتب رئيس الوزراء في تل أبيب. وكانت لهم جميعهم علاقة بجمعية استكشاف إسرائيل (Isreal Exploration Society). قامت هذه الجمعية بجمع أكثر الخبراء احتراماً في مجالات علمهم المتعلقة بأرض إسرائيل، وأطلقت مشاريع بحثية ونشرت أبحاثهم ونظمت المؤتمرات التي جذبت مئات من المشاركين المتحمسين".[١٤] وكان هدفها المعلن: "تنمية وتطوير دراسة الأرض وتاريخها، وتاريخها القديم، وإبراز نواحي الاستيطان والترابط الاجتماعي التاريخي بين شعب إسرائيل وأرض إسرائيل. وسعى الباحثون في جمعية استكشاف إسرائيل إلى توفير التوثيق الملموس لاستمرارية الخيط التاريخي الذي لم ينقطع منذ زمن يشوع بن نون حتى أيام الفاتحين للنقب في جيلنا". [١٥] وقد تم تأليف اللجنة من هؤلاء التسعة باسم "لجنة تحديد أسماء الأماكن في منطقة النقب"، وكانت مهمة اللجنة الجديدة هي "تعيين أسماء عبرية لجميع الأماكن (الجبال والوديان والينابيع والطرق، إلخ) في منطقة النقب".[١٦] وهنا، يؤكد بنفنستي، أن المهمة لم تكن مجرد تمرين مهني أو عمل بحثي، بل "كانت عمل إثبات للملكية: لقد طلب إليهم أن يضعوا مسودة صك ملكية لأكثر من نصف أرض إسرائيل".[١٧] فقد جاء في الرسالة التي أرسلها رئيس الوزراء إلى رئيس اللجنة، والتي كتب فيها يقول:" إننا مجبرون على إزاحة الأسماء العربية لأسباب تتعلق بالدولة. إننا ببساطة لا نعترف بحق العرب السياسي بامتلاك الأرض، ولا نعترف أيضاً بحق امتلاكهم الروحاني ولا بأسمائهم".[١٨]

مع انتهاء عمل اللجنة في العام ١٩٥١، كانت اللجنة قد حددت ٥٣٣ اسمًا عبريًا جديدًا، استبدلت الأسماء العربية الجغرافية للمكان في النقب. أكثر من نصف الأسماء الجديدة استندت على أسماء عربية، من خلال ترجمة ١٧٥ اسما، أو تحديد اسمًا مشابهًا للعربية في ١٥٠ حالة، أو من خلال إبقاء الاسم العربي على حاله، وكان ذلك في ثماني حالات فقط، أما باقي الأسماء فكانت أسماء تاريخية ووصل عددها إلى ١٢٠ اسمًا، كما تم تحديد ٥٠ اسمًا توراتيًا، واستحداث٣٠ اسماً جديداً. إلى جانب لجنة المسميات في النقب، أقامت الدولة مركز الخرائط الإسرائيلي، الذي كان يهدف إلى تحويل الخرائط إلى العبرية بكل ما تحمل من أسماء عبرية جديدة للحيز الفلسطيني. [١٩]

يذهب كل من ماعوز (Maoz Azaryahu) وأرنون (Arnon Golan)، إلى أن "اللجنة قد توصلت بعد ثمانية أشهر من تشكيلها إلى تحديد نحو ٥٦٠ تسمية عبرية في منطقة تقارب نصف مساحة الأراضي ذات السيادة الإسرائيلية وتمتد من إيلات في الجنوب وخط غزة ـــ عين جدي في الشمال، وفي آب ١٩٥٠ طبعت خارطة عبرية للنقب بمقياس ١: ٢٥٠٠٠٠ ، ونشرت قائمة الأسماء تلك في كتاب الحكومة السنوي في العام ١٩٥١، الأمر الذي أكد على وضعها الرسمي وجعلها متاحة للجمهور. وقد علق لاحقًا رئيس الهيئة مستذكرًا بأن

قائمة الأسماء قدمت (باكورة جهد الهيئة، أي: خارطة عبرية للنقب، مهذبة من الأسماء الأجنبية، حيث كل موقع فيها يمتلك اسمًا عبريًا)". [٢٠]

قررت اللجنة أيضًا طريقة اختيار الأسماء من خلال تحديد مجموعة من خمس أولويات:

١. تحديد الهوية التاريخية للمكان [المطابقة التاريخية]؛
٢. استخدام الكتاب المقدس [التوراة]؛
٣. تجاهل الأسماء العامية المستخدمة من قبل السكان المحليين؛
٤. ترجمة الأسماء العربية، وإعطاء شكل عبري للأسماء العربية وفقًا لتشابه الصوت؛
٥. إعطاء المعالم الجديدة أسماء رمزية، كـ "أباطرة وملوك وأبطال التاريخ اليهودي". [٢١]

## (٣)

في كتاب "التطهير العرقي في فلسطين"، يتحدث إيلان بَابِه، عن التطهير العرقي للشعب الفلسطيني، وما رافق ذلك من عمليات طرد، وإعادة تسمية الأماكن التي احتُلت ودمرت. يقول بَابِه: "الدافع إلى "عَبْرَنَة" أسماء القرى التي تم إخلاؤها كان، طبعاً، أيديولوجياً وليس مؤسساً على معرفة علمية. فالرواية المرافقة لهذه المصادرة بسيطة جداً: "خلال أعوام الاحتلال الأجنبي لأرض إسرائيل، مُحيت الأسماء العبرية الأصلية أو شُوّهت، وأحياناً اتخذت شكلاً مغايراً تماماً". ولم تكن الحماسة الأركيولوجية لإعادة إنتاج خريطة "إسرائيل" القديمة، في الجوهر، سوى محاولة "معرفية"، سياسية وعسكرية منهجية، لإزالة الطابع العربي عن البلد ـــ الأسماء والجغرافيا، وقبل كل شيء التاريخ". [٢٢]

استمرارًا للمجهود الإسرائيلي في عبرنة الأسماء، تم تشكيل لجنة حكومية في عام١٩٥١ ، سميت بلجنة "المسميات"، وتأسست هذه اللجنة من خلال دمج اللجنتين السابقتين: "لجنة الكيرن كييمت" و"لجنة النقب". وقد ضمت أعضاء كنيست، وشخصيات من" الكيرن كييمت"، ممثلين عن وزارة الداخلية، مؤرخين، علماء آثار، جغرافيين ومحاضرين في معالم البلاد ومتخصصين في اللغة العربية. وقد كان هدف هذه اللجنة أن تورد أسماء للمواقع في "إسرائيل"، سواء أكانت تجمعات جديدة، شوارع جديدة ولمواقع جغرافية أخرى أم حتى الأسماء التي كانت قائمة، وقد تطلب أخذ موافقة لجنة الأسماء لكي تكون رسمية. كما في عمل اللجنتين السابقتين، فقد أولت لجنة المسميات الحكومية أفضلية "لإحياء أسماء عبرية تاريخية". وقد كان هدف اللجنة ربط مشروع المسميات بالمشروع السياسي اليهودي في البلاد، فاختارت الأسماء العبرية من خلال إحياء الأسماء العبرية القديمة للمواقع في فلسطين، وذلك للإشارة إلى الرابطة التاريخية بين اليهود وبين فلسطين، إما من خلال استحضار أسماء توراتية وإطلاقها على مواقع معينة وذلك لتعميق الرابطة الدينية بين القادمين الجدد وبين البلاد، أو لإقناعهم أن فلسطين هي "أرض إسرائيل" التاريخية. [٢٣]

جاء في تقرير لجنة الأسماء الحكومية الإسرائيلية في آذار ١٩٥٦ : "في التقرير الموجز لهذه المرحلة، اعتمدت ١٤٥ اسمًا لمواقع أثرية، وتقرر اعتمادها على أساس التعريف التاريخي، ١٦ على أساس الأسماء الجغرافية في المنطقة، وثمانية على أساس معنى الكلمات العربية، والأكثرية الحاسمة من الأسماء (١١٣) على أساس تقليد لفظة الكلمات العربية، تقليدًا جزئيًا أو تامًا، من أجل إضفاء طابع عبري على الأسماء الجديدة، بحسب قواعد الصرف والتشكيل (Voweling) [المقبولة] ". [٢٤]

كان كل من لجنة التسمية في الصندوق القومي اليهودي، ولجنة الأسماء الحكومية الإسرائيلية في الخمسينيات، تستندان عمومًا إلى جغرافية فكتور غيران(*) التوراتية (١٨٦٨- ١٨٨٠، ١٨٨١- ١٨٨٣)، وكتاب إدوارد روبنسون (**) أبحاث توراتية في فلسطين، وجبل سيناء، والعربية بيتريا، الذي رأى فيه أن أسماء المواقع والقرى الفلسطينية، التي تبدو عربية، هي ترجمات عربية حديثة لأسماء عبرية قديمة. إن الأسماء الجغرافية الصهيونية العبريّة، والخرائط الإسرائيلية التي أبدلت الأسماء العربية الفلسطينية، هي جانب مهم من الهويّة "العبريّة الجديدة". [٢٥]

إن التصور المتعلق بعبرنة الخارطة القومية كان مهمة مفتوحة وغير محددة. وتم تقسيم عمل الهيئة من الناحية الرسمية إلى مرحلتين: المرحلة الأولى، و قد أنجزت عملها في العام ١٩٥٥، أنتجت خارطة لإسرائيل

بمقيـاس ١: ٢٥٠٠٠٠، ضمـت أسـماء عبريـة للأنهـار والجبـال والتـلال المهمـة. وتـم تكريـس السـنوات الثـلاث التـي تلـت ذلـك لإعـداد خارطـة عبريـة بمقيـاس ١: ١٠٠٠٠٠. وقـد اسـتطاعت الهيئـة وفقًـا لتقريـر يعـود للعـام ١٩٥٨ تحديـد ٣٠٠٠ اسـم موقـع طبوغـرافي. وقـد اشـتمل الفهـرس العـبري للخارطـة في هـذه المرحلـة عـلى ٧٨٠ اسـمًا للأنهـار وروافدهـا. وحيـث أن الكتـاب (المقـدس) أشـار إلى ١٦ نهـرًا فقط غربـي الأردن، فـإن جـزءًا صغيـرًا مـن الأسـماء كان أسـماء مسـتعادة. ومـع ذلـك تمـت تسـمية ٢٢٠ نهـرًا بأسـماء كتابيـة، الأمـر الـذي منـح صـدى كتابيًـا كبيـرًا للخارطـة المائيـة لـ "إسرائيـل" الحديثـة. ومـن بيـن الأسـماء الممنوحـة لـ ٢٥٠ ينبوعـاً، كان ٦٠ فقـط بتسـميات كتابيـة أو مـا بعـد كتابيـة أو تاريخيـة. وشـملت القائمـة ٧٢٠ تـلاً و خربـة، ١٧٠ منهـا معـرف تاريخيـاً. وتألفـت الخارطـة العبريـة الجبليـة مـن ٥٦٠ اسـمًا لجبـال وهضـاب. ويقـول تقريـر يعـود إلى أوائـل السـتينيات إن اللجنـة منحـت أسـماء عبريـة لنحـو ٥٠٠٠ موقـع.[٢٦]

أضيـف إلى هـذه الخريطـة مزيـد مـن الأسـماء في سـنة ١٩٦٣. ولعـل الناظـر في محـاضر اجتماعـات هـذه اللجنـة لا يحتـاج إلى كثـير مـن العنـاء كـي يسـتنتج أن عمليـة "تطهـير الأسـماء" تمـت في وضـح النهـار بمجرد صـدور الخريطة. فيوسـف أليسـتر، مديـر دائـرة المسـاحة، مثـلاً، يعـد بإصـدار الخريطـة وتطهيرهـا مـن الأسـماء العربيـة بشـكل واضـح، إذ سـيتم وضـع مصطلـح "هَـروس"، أي مدمَّـر أو ممحـو، بـين مزدوجـين عـلى "الخريطـة الحاليـة" مـكان أسـماء القـرى والبلـدات العربيـة: "سـنصدر هـذه السـنة سلسـلة جديـدة مـن سـت وعشريـن خريطـة قيـاس ١: ١٠٠٠٠٠، مجمعـة وفقـاً لنظـام جديـد مـن التصنيـف. فقـد تبـين لنـا أن اسـتبدال الأسـماء العربيـة بأُخـرى عبريـة لـم ينجـز بعـد، وعـلى اللجنـة أن تعبـئ بسرعـة مـا هـو مفقـود، وخصوصـاً أسـماء الآثـار. ونحـن نطلـب مـن اللجنـة الفرعيـة التاريخيـة أن تفعـل ذلـك بوتـيرة تمكّننـا مـن طبـع هـذه الأسـماء عـلى الخرائـط الجديـدة... إننـي أعطيكـم مسـودات عـن هـذه السلسـلة الجديـدة معلَّـم عليهـا المعالـم جميعهـا التـي لا تـزال تفتقـر إلى الاسـم العـبري. أرجـو أن تتكرمـوا بتسريـع الخطـى في تعيـين الأسـماء حتـى يتـم ظهورهـا عـلى الخرائـط العبريـة مـن دون أخطـاء... إننـا حريصـون جـداً عـلى ألاّ نشـطب أي معلـم عـلى الخريطـة لأن كل واحـد منهـا لـه قيمـة كبـيرة لأسـباب إرشـادية. أي أثـر ليـس لـه طلـل مرئـي لـن يتـم ذكـره عـلى اللائحـة، لأن نيتنـا ليـس إنتـاج خريطـة تاريخيـة، وإنمـا خريطـة جديـدة.[٢٧]

هكـذا، أنجـزت "إسرائيـل" "خارطـة معدلـة للخارطـة التـي وضعتهـا حكومـة الانتـداب البريطانـي عـام ١٩٤٤ بمقيـاس ١: ١٠٠٠٠٠، وبلـغ عـدد أجزائهـا ١٦ جـزءًا، لكنها لـم تدرس منطقـة النقـب. فلجـأت إدارة المسـاحة الإسرائيلية إلى زيـادة ٨ أجـزاء عـلى هـذه الخارطـة لتـلافي النقـص في خارطـة الانتـداب، ثـم أجـرت تعديـلات عـلى أطـوال الأجـزاء، فصـدرت الخارطـة الكليـة بمجموعـة مـن ٢٦جزءًا وبمقيـاس الرسـم ذاتـه، شـاملة جميـع المناطـق مـن أقصى الشـمال حتـى إيـلات عـلى البحـر الأحمـر. وكانـت الطبعات الإسرائيليـة المتعاقبـة لهـذه الخارطـة تحمـل الأسـماء العبريـة التـي تـم إطلاقهـا عـلى الأماكـن الفلسـطينية. في العـام ١٩٩٦ صـدر في إسرائيـل) أطلـس الطـرق) بمقيـاس رسـم ١٠٠٠٠٠ عـلى شـكل كـراس مكـون مـن نحـو ١٠٠ صفحـة متضمنـاً بالمثـل الأسـماء العبريـة للطـرق والمعالـم المذكـورة في هـذا الأطلـس".[٢٨]

يشـير عبـد الرحمـن مرعـي إلى الطـرق العديـدة التـي اسـتخدمتها لجنـة المسـميات الحكوميـة لصبـغ المواقـع بأسـماء عبريـة، ويوجزهـا كالتـالي:

١. إحيـاء أسـماء تاريخيـة قديمـة مـن فـترة التـوراة والمشـناة والتلمـود وغيرهـا، وتحتـوي هـذه المجموعة عـلى ٣٥٠ بلـدة؛ أي حـوالي ٤٠٪ مـن مجمـوع البلـدات، وهـي تتكـون مـن خمـس مجموعـات ثانويـة: أسـماء بلـدات جديـدة دعيـت بأسـمائها التاريخيـة التـي ذكـرت في التـوراة، أسـماء بلـدات ارتكـزت عـلى أسـماء أبطـال أو أنبيـاء ورد ذكرهم في التـوراة، أسـماء ذكـرت في المشـناة والتلمـود، أسـماء وردت في التـوراة والتلمـود وموجـودة في المراجـع العربيـة، وأسـماء قديمـة لمسـتوطنات حديثـة تعـود جذورهـا إلى لغـات الشـعوب التـي سـكنت هـذه الديـار في الحقبـات التاريخيـة المتواليـة.

٢. أسـماء مسـتوحاة مـن الطبيعـة والبنيـة الجغرافيـة والأرض، وسـميت ١٦٧ بلـدة بهـذه الطريقـة، وهـي تنقسـم إلى مجموعتـين ثانويتـين، الأولى تصـف الأسـماء الطبيعيـة والفيزيوجغرافيـة للمـكان،

**يلخص موشيه ديان عملية السيطرة على الحيز وتهويد المكان وعبرنته من خلال مخاطبته طلاب معهد "التخنيون"، في حيفا، بتاريخ ١٩ آذار١٩٦٩ ، [كما ورد في جريدة هآرتس ١٩٦٩/٤/٤] حيث قال: "بنيت القرى اليهودية مكان القرى العربية، أنتم حتى لا تعلمون أسماء هذه القرى وأنا لا ألومكم على ذلك، لأن كتب الجغرافيا لم تعد موجودة، وليس فقط أن الكتب غيرموجودة بل لأن القرى غير موجودة.**

كنوعية الأتربة ومصادر المياه والجبال والتلال والهضاب والمروج، والمجموعة الثانية هي بلدات تعود أسماؤها إلى فلاحة الأرض، مثل هزوريع.

٣. أسماء ذات طابع قومي صهيوني، وتضم هذه الطريقة ١٤٦ اسمًا، مثل مدينة هرتسليا، كريات بيالك وغيرها.
٤. أسماء عامة، وتضم هذه المجموعة ٦٥ بلدة، وتعتمد الأسماء على معاني الابتكار والجلد والنشاط.
٥. أسماء معارك وأعمال بطولية، وتضم هذه المجموعة ٨٥ بلدة، وهي ترمز إلى إحداث مهمة، مثل المعارك التاريخية اليهودية.
٦. أسماء شخصيات أجنبية، حيث أولت لجنة المسميات أهمية لشخصيات أجنبية دعمت المشروع الصهيوني، وضمت هذه المجموعة اسم ١٧ موقعًا.
٧. أسماء ذات أصول عربية، وتضم هذه المجموعة ٥٩ اسمًا، حيث أقيمت هذه البلدات قرب بلدات عربية، والهدف هو عبرنة هذه الأسماء. [٢٩]

امتد عمل اللجنة [لجنة "المسميات"] بعد سنة ١٩٦٧ إلى الأراضي العربية المحتلة في الضفة الغربية، وقطاع غزة، والقدس الشرقية، وهضبة الجولان، وبدأت بتسمية الأماكن في هذه المناطق بوجود ممثل عن مجلس المستعمرات، وبالتنسيق مع "المجالس المحلية" للمستوطنين.

بذا، فإن اللجان الفرعية تتواصل مع التجمعات السكانية، وتتداول في الأسماء المقترحة، ثم تقدمها إلى اللجنة المركزية التي تقرُّها وتنشرها في نشرة حكومية خاصة، وبعد ذلك تكون ملزمة لمؤسسات الدولة.

يلخص موشيه ديان عملية السيطرة على الحيز وتهويد المكان وعبرنته من خلال مخاطبته طلاب معهد "التخنيون"، في حيفا، بتاريخ ١٩ آذار١٩٦٩ ، [كما ورد في جريدة هآرتس ١٩٦٩/٤/٤] حيث قال: "بنيت القرى اليهودية مكان القرى العربية، أنتم حتى لا تعلمون أسماء هذه القرى وأنا لا ألومكم على ذلك. لأن كتب الجغرافيا لم تعد موجودة، وليس فقط أن الكتب غيرموجودة بل لأن القرى غير موجودة. نهلال أقيمت في نفس مكان معلول، جفعآت في مكان جيبتا، سريد في مكان خنيفس وكفار يهوشوع في مكان تل الشومان. ليس هناك مكان في هذه الدولة لم ينشأ على نفس المكان لقرية عربية". [٣٠]

توسعت حملة إبادة الذاكرة العربية لتشمل تهويد بعض الأماكن المقدسة لدى المسلمين وقبور الأولياء المسلمين أو عَبْرَنتها. في هذا يقول ميرون بنفنستي، الذي كان نائباً لرئيس بلدية القدس بين عامي ١٩٧١ و١٩٧٨: "في الخمسينيات والستينيات كانت مواقع قبور الأولياء الصالحين و"خلاصهم" في أيدي المؤسسة الدينية ـــ خاصة وزارة الأديان ـــ والجماعات الاشكنازية الحريدية Haredi ... ووفقًا للائحة رسمية، أصدرتها مجموعة تعرف باسم أساس العالم، وألحقت كملحق بكتاب نشرته وزارة الدفاع، هناك أكثر من خمسمائة مكان مقدس يهودي وقبور أولياء يهود في فلسطين (بما فيها الأرض المحتلة). والكثير من هذه الأماكن، ولكن ليس معظمها، كانت مواقع إسلامية في السابق". [٣١]

انسجاماً مع ذلك، جرى إعداد أطالس وموسوعات إسرائيلية تضمنت تسميات عبرية لغالبية معالم البلاد، منها مثلاً: أطلس إسرائيل ـــ الموسوعة اليهودية ـــ موسوعة الصهيونية وإسرائيل ـــ كل البلاد / المعجم

الجغـرافي لإسرائيـل ـــ الدليـل السـياحي / بمختلـف اللغـات، وغـير ذلـك مـن الكتـب والمؤلفـات والأعمـال الدعائيـة التـي نـشرت في فلسـطين المحتلـة وخارجهـا.

ركـز المسـؤولون في وسـائل الدعايـة الصهيونيـة المقروءة والمسـموعة والمرئيـة عـلى اسـتخدام الأسـماء العبريـة الجديـدة للمواقـع والأماكـن في البـلاد وفي الضفـة والقطـاع وعـدم اسـتخدام الأسـماء العربيـة. وتـم تجديـد الأوامـر بـين حـين وآخـر، ومنهـا مثـلاً التعليمـات التـي أصدرهـا مديـر عـام هيئـة البـث أرييـه مـاكل بهـذا الخصـوص في أيلـول ١٩٩٠، وعـلى سـبيل المثـال يجـب أن يقـال قريـة هشـيلوح وليـس قريـة سـلوان. [٣٢]

في سـنة ٢٠٠٤، أصـدرت لجنـة الأسـماء الحكوميـة "أطلـس إسرائيـل للاسـتيطان: أسـماء المسـتوطنات والمواقـع في إسرائيـل"، مـن تحريـر حنـة بيتـان - المحـررة العلميـة للجنـة بالتعـاون مـع اللجنـة الاستشـارية العلميـة برئاسـة البروفسـور موشـيه بـرور، وبمقدمتـين مـن رئيـس الحكومـة في حينـه أريئيـل شـارون، ومـن رئيـس لجنـة الأسـماء الحكوميـة البروفسـور أبراهـام بـيران، وقـد حُـددت فيـه أسـماء مسـتعمرات حضريـة وريفيـة، وتجمعـات سـكانية، ومجالـس محليـة، عـلاوة عـلى إطـلاق أسـماء عـلى كل مـن التـالي: مناطـق صناعيـة كمراكـز تشـغيل خـارج حـدود المناطـق الآهلـة؛ معابـر حدوديـة؛ أنفـاق؛ مفترقـات مخططـة وتقاطعـات طـرق؛ تضاريـس مـن جبـال وأنهـار وينابيـع ومرتفعـات وهضـاب؛ مواقـع تاريخيـة . [٣٣]

اتخـذت عمليـة عبرنـة الأسـماء شـكلاً مقـززًا. ففـي نيسـان ٢٠٠٩، أمـر وزيـر المواصـلات الإسرائيـلي بشـطب أسـماء البلـدات والمـدن العربيـة عـن الإشـارات واللافتـات المنصوبـة عـلى الشـوارع والطرقـات الرئيسـة وأن يحتفـظ بأسـمائها العبريـة. وفي تشريـن الثانـي ٢٠١١ قـررت الشرطـة العسـكرية وإدارة المعابـر الإسرائيليـة اسـتعمال أسـماء عبريـة بـدلاً مـن الأسـماء العربيـة لسلسـلة حواجـز الطـرق في الضفـة الغربيـة. عـلى هـذا اتخـذ حاجـز ترقوميـا اسـم حاجـز لاخيـش، وحاجـز نعالـين حاجـز كريـات سـيفر، وحـل حاجـز بيـت أرييـه محـلّ حاجـز رنتيـس.. إلـخ. [٣٤]

في كتـاب "تهويـد الأرض وأسـماء المعالـم الفلسـطينية" ، يقـول شـكري عـراف، مـضى نحـو ١٢٠ عامـاً عـلى بدايـة تغـير الأسـماء العربيـة في فلسـطين إلى تسـميات أخـرى عبريـة تخـدم الأهـداف التـي وضعتهـا الحركـة الصهيونيـة ودولـة إسرائيـل بعدهـا، والتـي نجحـت في عَبْرَنَـة أكثـر مـن ٧٠٠٠ اسـم لمواقـع فلسـطينية، منهـا أكثـر مـن ٥٠٠٠ موقـع جغـرافي، وعـده مئـات مـن الأسـماء التاريخيـة، وأكثـر مـن ١٠٠٠ اسـم للمسـتعمرات. [٣٥]

في نهايـة بحثهـا، الـذي يحمـل عنوانًـا يؤكـد جوهـر عبرنـة الأسـماء" عـلى جانـب الطريـق وعـلى هامـش الوعـي"، تشـير كيدمـا إلى أن سياسـة عبرنـة الأسـماء للمواقـع العربيـة عمومًـا، وللقـرى الفلسـطينية التـي هجـر سـكانها عـام ١٩٤٨ خصوصًـا، أدت إلى تأكيـد الروايـة الصهيونيـة وهامشـية الروايـة الفلسـطينية، حيـث تشـير إلى أن الصـورة العامـة المنقولـة للإسرائيليـين مشـتقة مـن الروايـة الصهيونيـة المهيمنـة: "بـلاد يهوديـة مـع قليـل مـن الـتراث والتاريـخ والجغرافيـا العربيـة، فـر سـكانها العـرب وهـم لا يعنوننـا. وتضيـف، وهـذا بالتـالي تـرك انعكاسـات سياسـية آنيـة، فتجاهـل ملابسـات تفريـغ القـرى مـن سـكانها الأصليـين إثـر الزلـزال الـذي ضربهـم عـام ٤٨ونتائجـه عـلى اللاجئـين حتـى اليـوم، يحيـد البعـد الإنسـاني لحالـة الفقـدان الفلسـطينية وينزعـه مـن صـورة الـصراع المتاحـة للإسرائيليـين". وتشـير إلى أن عمليـة الإقصـاء "تهـدف لنفـي العلاقـة القائمـة حتـى اليـوم بـين الفلسـطينيين وبـين قراهـم الأصليـة، ولإسـكات كل محاولـة لبحـث قضيـة اللاجئـين وعودتهـم".[٣٦]

يقـول الباحـث الفلسـطيني، يـاسر سـليمان، في كتابـه" حـرب اللغـات": بإزالـة معظـم أسـماء الأماكـن باللغـة العربيـة مـن الخريطـة، لـم تخلـق" إسرائيـل" فقـط خريطـة جديـدة، وإنمـا رسـمت أيضًـا واقعًـا جديـدًا ربحـت بـه العبريـة المعركـة عـلى العربيـة .... إزالـة أسـماء الأماكـن مـن الخريطـة سـبب أيضًـا خسـارة مجموعـة مـن المعانـي والتقاليـد التـي تعكـس ارتبـاط الفلسـطينيين بأرضهـم. [٣٧]

لقـد كان احتـلال الخريطـة، أسـهل كثـيرًا مـن احتـلال الأرض، كمـا أن وَضْـع خريطـة عبريـة كان أداة قويـة جـداً لتحقيـق احتـلال الأرض.

باختصـار، كانـت عمليـة ْعبرنـة أسـماء المواقـع الجغرافيـة الفلسـطينية، عمليـة تـدل عـلى طمـس والتاريـخ الفلسـطيني الأصيـل وإسـكاته، وتلفيـق تاريـخ عـبري ـــ توراتـي متخيـل.

## الهوامش

١ عبد الرحيم الشيخ، متلازمة كولومبوس وتنقيب فلسطين: جينيالوجيا سياسات التسمية الإسرائيلية للمشهد الفلسطيني، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، المجلد ٢١، العدد ٨٣ (٣٠ حزيران ٢٠١٠)، ص ٩.

٢ نور مصالحة، **فلسطين أربعة آلاف عام في التاريخ**، ترجمة: فكتور سحاب، ط١، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٢٠)، ص ٣٦٠.

٣ إيلان بابه، **التطهير العرقي في فلسطين**، ترجمة: أحمد خليفة، ط١، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٧)، ص ٢٥٣.

٤ شكري عراف، **المواقع الجغرافية في فلسطين، الأسماء العربية** والتسميات العبرية، ط١، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٤)، ص ٣.

٥ **مصالحة**، ٢٠٢٠، ص ٣٦٤- ٣٦٥.

٦ راسم محيي الدين خمايسي، أسماء المواقع في بلادنا بين الماضي والحاضر، المجلة (مجمع اللغة العربية)، حيفا، عدد ٤، (٢٠١٣)، ص ٥٢.

7 Maoz Azaryahu and Arnon Golan, "(Re) naming the landscape: The formation of the Hebrew map of Israel 1949–1960", *Journal of Historical Geography*, 27, 2 (2001) 178–195

هذه الدراسة ترجمها، محمود الصباغ ، تحت عنوان: "تسمية المشهد المكاني: تشكيل الخارطة العبرية لإسرائيل ١٩٤٩-١٩٦٠"، ونشرت في مركز الجرمق:

**(إعادة) تسمية المشهد المكاني: تشكيل الخارطة العبرية لإسرائيل ١٩٤٩-١٩٦٠- القسم الأول - Aljarmaq center** (آخر مشاهدة في آب ٢٠٢١)

٨ عصام سخنيني، **الجريمة المقدسة: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني**، ط١، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢)، ص (١٣٩-١٤٠).

٩ عبد العظيم أحمد عبد العظيم، "التخطيط اللغوي لتأصيل الهوية العبرية في فلسطين دراسة في جغرافية اللغات"، بحث مقدم إلى مؤتمر الهوية واللغة في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢، ص ١٥.

10 Azaryahu and Golan, 2001 178–195

11 ()Azaryahu and Golan, 2001 178–195

١٢ سخنيني، ٢٠١٢، ص ١٤٠- ١٤١.

13 Azaryahu and Golan, 2001 178–195

١٤ ميرون بنفنستي، **المشهد المقدس: طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ ١٩٤٨**، ترجمة: د. سامي مسلم، ط١، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، ٢٠٠١)، ص٣٥.

١٥ بنفنستي، ٢٠٠١، ص ٣٦.

١٦ بنفنستي، ٢٠٠١، ص ٣٦.

١٧ بنفنستي، ٢٠٠١، ص ٣٦.

١٨ بنفنستي، ٢٠٠١، ص ٣٨.

١٩ محمد أمارة، **اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات**، ط١، (الناصرة، دراسات – المركز العربي للحقوق والسياسات، ٢٠١٠)، ص ١٣٥.

20 Azaryahu and Golan, 2001 178–195

٢١ عبد العظيم، ٢٠١٢، ص ١٧.

٢٢ بابه، ٢٠٠٧، ص ٢٥٤.

٢٣ أمارة، ٢٠١٠، ص ١٣٥- ١٣٦.

٢٤ مصالحة، ٢٠٢٠، ص ٣٩٤.

(*) **فكتور غيران**، باحث أثري توراتي فرنسي، وعالم في جغرافيا الكتاب المقدس، زار فلسطين عدة مرّات، وكثيرًا ما أشار في أعماله إلى مقاطع من التوراة العبرية والمصادر اليهودية، مثل المشنا، والتلمود.

(**) **إدوارد روبنسون**، أستاذ للكتابات الدينية بكلية الوحدة للدراسات الدينية بنيويورك، مع حلول عام ١٨٣٨ تقريباً، قام إدوارد روبنسون، وبالتعاون مع القس الألماني المتحدث بالعربية، إيلي سميث، برحلة استكشافية إلى فلسطين، خلال هذه الرحلة، بحث إدوارد روبنسون وإيلي سميث، عن المواقع التي وردت في الكتابات الدينية، عن قناعة بأن أسماءها العربية الحالية تتضمن أصداءً من أسمائها العبرية الأصلية. لمزيد من التفاصيل أحمد الدبش، **فلسطين في العقل الأمريكي** (١٤٩٢ ـــ ١٩٤٨)، ط١، (دمشق، صفحات للنشر والتوزيع، ٢٠٢١).

٢٥ مصالحة، ٢٠٢٠، ص ٣٧٢.

26 Azaryahu and Golan, 2001 178–195

٢٧ الشيخ، ٢٠١٠، ص ١١.

٢٨ إبراهيم عبد الكريم، **تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية**، (دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١)، ص ٧٤

٢٩ أمارة، ٢٠١٠، ص (١٣٦- ١٣٧)؛ نقلًا عن: عبد الرحمن مرعي، **عبرنة أسماء البلدات والمواقع الفلسطينية: انعكاس وامتداد للصراع الإسرائيلي الفلسطيني**، (طمرة، جمعية بن خلدون، ٢٠٠٦).

٣٠ أمارة، ٢٠١٠، ص ١٣٢.

٣١ بنفنستي، ٢٠٠١، ص ٣٦٠.

٣٢ عبد الكريم، ٢٠٠١، ص ٧٤- ٧٥.

٣٣ الشيخ، ٢٠١٠، ص ١٢.

٣٤ سخنيني، ٢٠١٢، ص ١٤٢.

٣٥ عراف، ٢٠٠٤، ص ٣١.

٣٦ أمارة، ٢٠١٠، ص ١٣٩.

٣٧ أمارة، ٢٠١٠، ص ١٤١.